جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة: 2024 – 2025

المستوى : ماستر1 السداسي : الثاني التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: العمارة في المغرب الإسلامي

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس المساجد الحمادية والمرابطية والموحدية

المساجد الحمادية والمرابطية والموحدية

جامع قلعة بني حماد:

يعود تأسيس دولة بني حماد إلى حماد بن بلكين (1007–1028م) تولى حكم أشير في المغرب الاوسط تحت إمرة بنو اعمامه الزيريين، ثم بنى عاصمتهم الأولى القلعة 1007م واستقل بالحكم. توسعت دولتهم نحو المغرب الأقصى في عهد بلكين بن محمد بن حماد 1046–1062م، ثم وشيدوا عاصمة جديدة الناصرية (بجاية) في عهد الناصر سنة 1062–1088م، اهتم امراؤها بالبناء والثقافة، استمر هذا التطور الى غاية مجيئ بنو هلال الى البلاد فانحسرت رقعة للبلاد، وسقطت الدولة في عهد يحي بن عبد العزيز 1121–1152م في أيدي الموحدين.

يذكر البكري ان قلعة بني حماد تأسست سنة 398هـ/1007م، على منحدر وعر، وتقع حاليا على الحدود الشمالية لسهول الحضنة، على مسافة 36 كلم من مسيلة، وتجور اليوم بلدية المعاضيد، يحدها من الغرب قوراية، ومن الشرق شعاب وادي فرج، وتقع على ارتفاع 1000م من مستوى البحر، هي العاصمة الأولى قبل بجاية.

أثناء الحفريات التي أجراها رشيد بورويبة في قلعة بني حماد سنة 1968 تمكن من الكشف عن الجامع الكبير والمسجد الصغير بقصر المنار، ولا يحتفظ الجامع الكبير سوى على الأساسات جدرانه وقواعد ركائزه ومئذنته.

الجامع ذو تصميم مستطيل الشكل عرضه 53.20م وعمقه 63.20م، يحيط به جدار يبلغ سمكه 1.50م مدعم بدعائم مستطيلة ارتفاعها 1.80م، عرضها 1.30م. يتألف الجامع من بيت للصلاة وصحن.

مخطط بيت الصلاة مستطيل الشكل عرضه 53.20م وعمقه 34.20م، ويتشكل من 13 بلاطة وثمانية أساكيب، ويلاحظ داخل بيت الصلاة فضاء يتقدم المحراب ويحيط به، ويتألف هذا الفضاء من خمس بلاطات وأربعة أساكيب، ويرى رشيد بورويبة على أنه وظف على أساس مسجد بعد هجران القلعة من سكانها واتجاههم نحو العاصمة الحمادية الجديدة بجاية، في حين يرى سلادين ودي بيليي وجورج مارسيه أنه يمثل المقصورة.

صحن الجامع ذو تصميم مستطيل الشكل يبلغ عرضه 53.20م وعمقه 26.90م وهو مفصول عن بيت الصلاة بواسطة جدار، يتم الولوج إلى الداخل عن طريق أبواب، كان الصحن مبلطا ومحاطا برواق ، ويوجد في وسطه جب أو صهريج لتخزين المياه، يبلغ طوله 11.15م وعرضه 5.40م وعمقه 2.80م، وهو مغطى بقبو متقاطع لم يبق منه سوى جزء ضئيل، كما تم الكشف عن قاعة مستطيلة الشكل (6.40×3.40م^2) لعلها كانت مكتبة.

تقف المئذنة وسط الجدار الشمالي للصحن، وهي مبنية من الحجر، وتتألف من برج واحد فقد قمته، ويص ارتفاعه إلى 24.60م، وتقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها 6.50م، ويتم الولوج إلى داخل المئذنة عن طريق باب ارتفاعه 2.40م يؤدي إلى سلم صاعد يلتف حول نواة مركزية مربعة طول ضلعها 1.50م، ويتألف السلم من 127 درجة، واستخدم في تغطية فضاءاتها أقبية نصف برميلية وأقبية متقاطعة.

تمتاز المئذنة بالزخارف التي تزين واجهتها الجنوبية التي تنقسم إلى ثلاثة ألواح قائمة الوسطى تنطلق من الأسفل بباب ارتفاعه 2.70م يعلوه خشبة من العرعار تشكل الساكف، ثم يليها عقد نصف دائري من الآجر كان يرتكز على عمودين يقعان على يمين ويسار المدخل، ثم يليه لوحة حجرية مزينة بزخارف نباتية وهندسية وفوقها عقد خماسي الفصوص لم يبق منه إلا جزءا يسيرا، ثم يليه عقد آخر نصف دائري تعلوه فتحة مستطيلة عرضها 1.55م، وارتفاعها 3.10م، وهي معقودة بعقد نصف دائري، وتليها فتحة أخرى تسبه سابقتها في الشكل والعرض، بينما ارتفاعها يصل إلى 2.27م ثم يأتي بعدها ثلاثة عقود نصف دائرية.

أما اللوحان الجانبيان فمزينان بكوة غير نافذة ذات مسقط نصف دائري متوّجة في أعلاها بنصف قبيبة على شكل صدفة تعلوها كوتان متراكبتان غير نافذتين يزين جزءهما العلوي الآجر والخزف.

إنّ المئذنة تطرح تساؤلا هل كانت تشمل على برجين على غرار المآذن الموحدية اللاحقة أو على ثلاثة أبراج على غرار مئذنتي جامع القيروان وجامع صفاقس، إن الافتراض الأول هو الأقرب للصواب، وبهذا فمئذنة جامع قلعة بني حماد تعد النموذج الذي استلهم منه المعماري الموحدي أيلوب مئذنتي الكتبية وإشبيلية (لاخرالدة).

الجامع الكبير بتلمسان:

نبذة تاريخية: حكمت دولة المرابطين حوالي تسعين سنة من عام 448-541هـ /1056-1148م أشأوا خلال هذه الفترة دولة واسعة الأرجاء فشملت المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط والأندلس وامتدت أرجاؤها إلى غاية بلاد السودان الغربي.

قيام دولة المرابطين بتلمسان: قام يوسف بن تاشفين بإرسال قائده مزدلي اللمتوني في عشرين ألفا من المرابطين عام 472هـ/1079م لغزو تلمسان وما وراءها من بلاد المغرب. وقد كان في مواجهتهم يحي بن خرز إلى أن سقط في ساحة القتال، ثم عاد القائد اللمتوني إلى مراكش، وفي عام 474هـ/1081م قدم يوسف بن تاشفين إلى تلمسان، وأثناء حصاره لتلمسان القديمة أي أغادير بنا يوسف بن تاشفين مدينة جديدة بالمكان الذي نزل فيه، والذي تقع غرب تلمسان وسماها تاقرارت، ومعناها المحلة في لغة القوم، وكانت بمثابة المركز الرسمي للحكومة المرابطية.

شيد المرابطون العديد من المساجد كجامع الجزائر العاصمة والجامع الكبير بندرومة، ويعد الجامع الكبير بتلمسان من أهم إنجازاتهم، وعليه ستقتصر دراستنا على هذا الأخير.

أهم مميزات العمارة المرابطية:

- وجود القبة فوق المحراب التي تتشكل من عقود متقاطعة تتخللها حشوات جصية مزخرفة بعناصر نباتية وهندسية، وتكون السقوف من الخشب ومسطحة من الداخل، وجمالونية الشكل من الخارج، يغطيها القرميد .

– العقود على شكل حدوة الفرس أو العقود الحدوية المدببة أو المفصصة.

– تستند العقود غالبا على دعامات مبنية من الآجر يختلف شكلها حسب عدد العقود التي تستند إليها.

– الصحن صغير تحيط به أروقة من الجانبين.

– خلو المساجد من عنصر المئذنة.

– استخدام الزليج في الزخرفة على شكل لوحات في واجهات المباني، مع استمرار الزخرفة بالنقش على الجص، ولقد بلغت النقوش الجصية أرقى مستوى لها في العمارة المرابطية .

– اعتمدت المواضيع الزخرفية على الأشكال الهندسية والعروق النباتية والأشرطة الكتابية التي اعتمدت بشك رئيسي على الخط الكوفي، كما ظهر الخط النسخي الذي استعمل للمرة الأولى في جامع تلمسان.

وصف الجامع: يقع الجامع الكبير وسط المدينة تلمسان وقد قام ببنائه علي بن يوسف ابن تاشفين، وذلك سنة 530 هـ/ 1136م حسب الكتابة التذكارية التي تحملها قبة أمام المحراب، وربما قام الموحدون ببعض التعديلات، وفي سنة 1236م قام يغمراسن بن زيان بتوسيع المسجد، حيث أضاف سبعة بلاطات جديدة على مستوى الصحن وبنى المئذنة والقبة التي تتوسط البلاطة الوسطى وزودت بثريا.

اتخذ بيت الصلاة شكلا مستطيلا يبلغ عرضه 49,30م، وعمقه 24,90م، ويمتدّ في اتجاه عرضي من الشرق إلى الغرب، ويقوم صف من العقود بتقسيمه إلى قسمين متساويين، ويتكوّن بيت الصلاة من 13 بلاطة عمودية على جدار القبلة يفصل بينها صف من الدعامات تتّجه من الشمال إلى الجنوب، وتستند عليها عقود نصف دائرية أو حدوية، ويبلغ متوسط عرض هذه البلاطات 3,20م ما عدى البلاطة الوسطى التي تتميّز بزيادة اتّساعها عن بقية البلاطات، حيث فيبلغ عرضها 4,60م، وتتميّز باحتوائها على قبّتين الأولى تتقدّم المحراب، وترجع إلى عهد الأمير "علي بن يوسف بن تاشفين"، وهي من طراز القباب القائمة على العقود البارزة المتقاطعة فيما بينها، والثانية تغطّي المساحة المربّعة التي يحدّها تقاطع البلاطة الوسطى بالأسكوب الرابع من بيت الصلاة، وقد قام ببنائها الأمير "يغمراسن بن زيان"

صحن الجامع الكبير بتلمسان ذو تصميم مربع الشكل، تبلغ مساحته 400م^2 مبلط بمربعات كبيرة من الرخام وفي وسطه حوضان؛ أحدهما مستطيل الشكل والثاني دائري الشكل، تحيط به مصاطب من الرخام .

المحراب عبارة عن تجويفة متعددة الأضلاع، تنفتح بعقد حدوي يرتكز على عمودين رخاميين نصف مدمجين، يفصل الجزء السفلي عن العلوي إفريز، ويعد محراب جامع تلمسان وإطاره من من روائع الجمال والإبداع الفني الإسلامي في المغرب الإسلامي، لما يحمله من زخارف متنوعة آية في الجمال، ويتوسط هذا المحراب جدار القبلة، وينفتح على يمينه باب يؤدي إلى الغرفة التي يحفظ فيها المنبر، وعلى يساره باب آخر يضفي إلى غرفة الإمام.

تتقدم المحراب قبة ذات التعريقات والتي يرجع الفضل في بنائها إلى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين سنة 530هـ /1135 م، وتتألف هذه القبة من اثنا عشرة عقدا كبيرا مبنيا من الأجر وهذه العقود دقيقة الصنع تتقاطع في أعلى القبة مشكلة في القمة قبيبة مقرنصة .

إن كلّ السقوف خشبية ومسطّحة من الداخل، وتظهر جمالونية الشكل مغطاة بالقرميد من الخارج، وهي تقوم على تكوينات هندسية غاية في الدقّة والإتقان فضلا عن العناصر الزخرفية التي تتوفر عليها، وقد روعي في وضعها الترتيب التوازني المزدوج مع حوامل (مساند) مجازية، تكون عونا للرافدات الخشبية في تحمّل ثقل السّقف، وتمتاز بعض أجزاء سقف البلاطة الوسطى بنوع من العمل الجاد المتقن من الناحية الفنية.

المئذنة من الطراز المغربي الأندلسي وتتكون من قاعدة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها حوالي 6.30م. وارتفاع البرج الأول (البدن) يصل إلى 26.15م وبذلك تكون هذه المئذنة من أطول المآذن الزيانية. ويتم الصعود إلى الأعلى عن طريق سلم يلتف حول نواة مركزية يبلغ طول ضلعها 2.80م، وعدد درجات السلم 130 درجة.

يحتوي البرج على فتحات مستطيلة كما أنه ينتهي بشرفة يصل ارتفاع جدارها إلى 1.36م، وينتهي هذا الحائط بشرافات مسننة. يصل عددها إلى 16 شرافة.

زخرفت كل واجهة من الواجهات الأربع للبرج الرئيسي بشبكة من المعينات تكاد تكون متطابقة، يبلغ مجموعها 45 معينا ويتخذ القسم العلوي لهذه المعينات هيئة عقد رخو برأس واحدة يتناوب مع عقد رخو برأسين في الواجهة الشمالية والغربية. أما الجهات العليا فكانت مزينة بزهرية مطلية باللون الأخضر ، وهي تستند على بائكة من العقود على شكل حدوة الفرس تحملها أعمدة صغيرة.

ينطلق من الشرفة ويبلغ ارتفاعه 4.70م، ويبلغ عرض قاعدته 2.90م. ينتهي الجوسق بقبة صغيرة يعلوها سفود ذو تفاحتين كتب عليها عبارة "اليمن والإقبال" .

وقوام زخرفة الجوسق إطار مستطيل مركب من عقد على شكل حدوة الفرس يحتوي على شبكة من المعينات. أما حافة هذا الإطار فقد زخرفت بإفريز من الفسيفساء الخزفية، ويتم الصعود إلى غرفة الجوسق عن طريق درجتين توجدان على السطح الأول.

جامع تنمل:

الموحدون: بلغت الدولة أوجها في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (1163–1184م)، ثم أبو يوسف يعقوب المنصور (1184–1199م) والذي تلقب بالمنصور وعمل على النهوض بالدولة الموحدية والأندلس علميا وثقافيا. وكان قائدا ماهرا وسياسيا قديرا استطاع عقد الصلح مع مملكة قشتالة .ولكن نقضهم للصلح اضطرته لقتالهم في معركة الأرك عام 1195م والتي انتصر فيها الموحدون على الملوك النصرانيين. في عهد الناصر (1199–1213م) تم القضاء على العديد من الثورات في إفريقية .وبعد موقعة الأرك عقدت هدنة بين ملك قشتالة ألفونسو الثامن والمسلمين. ولكن الفونسو استغل الهدنة في تقوية بلاده ومحالفة أمراء النصارى، وحين وجد نفسه مستعدا أغار على بلاد جيان وبياسة وأجزاء من مرسية .فاضطر الملك" محمد الناصر "الذي خلف والده المنصور في إفريقيا إلى الذهاب إلى الأندلس لغزو قشتالة .فعبر البحر بجيشه وذهب إلى إشبيلية لتنظيم الجيش. ومنها اتجه إلى قلعة" شاطبرة "إحدى قلاع مملكة قشتالة واستولى عليها بعد حصار دام ثمانية شهور. ولكن الفونسو دعا البابا أنوسنت الثالث بروما إلى إعلان الحرب الصليبية ضد الأندلس. والتقى الجيشان عند حصن العقاب إلا أن الموحدين تلقوا هزيمة قاسية على يد النصرانيين في معركة حصن العقاب سنة 1212م، وبعد سنة 1213م بدأت الدولة تتهاوى في الأندلس بسرعة في أيدي النصرانيين بعد عام 1228م، وفي إفريقية سقوط (تونس) في أيدي الحفصيين، والمغرب الأوسط (الجزائر) في أيدي بني عبد الواد - الزيانيين- ، ومنذ 1244م تعرضوا لحملات المرينيين، ثم فقدوا السيطرة على المغرب الأقصى وانتهى أمرهم سنة 1269م بعد أن قضى عليهم المرينيون نهائياً.

يعتقد البعض أنّه شيد سنة 543هـ/1148م، لكن هنري تيراس يرى أنّه أسس سنة 548هـ/ 1153م، وذلك اعتمادا على ما جاء في كتاب روض القرطاس لابن أبي زرع,

يمتاز جامع تنمل بتصميمه المعماري وأوابه ودعائمه وأعمدته وتيجانه وعقوده ومحرابه وقبابه ومئذنته.

تصميم الجامع مستطيل الشكل يمتد عرضيا، ويبلغ عرضه 48م، وعمقه 43.60م، ويتألف من بيت للصلاة والصحن، يبلغ عرض بيت الصلاة 48م، وعمقه 24م، ويتكون من

تسع بلاطات، وعند نقاط التقاء البلاطة الوسطى المستعرضة والبلاطتين المتطرفتين مع رواق القبلة يتشكل فضاء مربعا غطي بالقبة، يبلغ عرض البلاطة الوسطى 5.70م، والبلاطتين المتطرفتين 4.80م، بينما يصل عرض البلاطات الأخرى 3.90م. تقوم دعامات مصحوبة أحيانا بأعمدة بتقسيم بيت الصلاة

الصحن ذو تصميم مستطيل الشكل يبلغ عرضه 24.60م وعمقه 18م، يحيط به من الشرق والغرب مجنبتان تتشكلان من رواقين يعدان امتدادا لبلاطات بيت الصلاة.

للجامع سبعة أبواب؛ باب عادي وستة أبواب تذكارية بارزة موضوعة بشكل تناظري ثلاثة أبواب من كل جانب.

تمثل تيجان الأعمدة طفرة معمارية تعبر عن تحرر المهندس المعماري المغاربي من التأثير الروماني.

لقد استخدم الموحدون عقودا متنوعة؛ من عقود حدوية مدببة وعقود مفصصة إلى جانب استخدام عقد مبتكر، وهو العقد المقرنص.

محراب الجامع سداسي الأضلاع، وتعلوه قبة ذات مقرنصات تعد أول نموذج في المغرب الإسلامي، وتتألف واجهة المحراب من زخارف متنوعة وعقود وإطارات مستطيلة زخرفية، وشمسيات.

للجامع ثلاث قباب؛ واحدة أمام المحراب، واثنتان في أركان رواق القبلة.

أما المئذنة فتتميز بموقعها، حيث بنيت فوق المحراب، وهذا ما يجعل هذا الجامع ينفرد في عمارته عن باقي المساجد الأخرى، وتتشكل المئذنة من قاعدة مستطيلة الشكل، ولديها سلم صاعد مستقيم لا يلتف حول نواة مركزية كما جرت العادة في مآذن بلاد المغرب، وتمتاز أيضا بزخرفة بسيطة تزين الواجهة الموازية لجدار القبلة، وهي عبارة عن ثلاثة عقود تعلوها فتحة، بينما نشاهد في الواجهة الشرقية بابين يعلوهما عقد حدوي.